Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكأن شعراءنا قد هدتهم فطرهم إلى أن أبعاد المأساة لا تكتمل إلا بتصوير طبيعة الريف ، وبابراز ما فيه من جمال ، فالذي لا شك فيه ان هذا الاحساس بالتضاد بين الاطار الطبيعي وحالة الانسان الذي يعيش فيه من شأنه أن يعمق الشعور المأسوي لدى القـارىء ، وان يدل على رحابته لدى الشاعر ، ولا سيما إذا كان هذا الانسان البائس هو صانع ذلك الاطار الخلاب .

وننتقل من رصد هذا الاطار الطبيعي « للحياة » في الريف إلى رصد الاطار الطبيعي « للموت » فيه ، وليس هذا من قبيل التداعي اللفظي بين الحياة والموت وإنما هـما زاويتان تعمقان احساسنا بالهوان الذي يبلغه الانسان في ذلك الاطار حياً وميتاً .

يعود « الهمشري » إلى قريته السنبلاوين طامعاً أن يموت هناك بـين المروج العاطرة ، حيث يلتحف البنفسج ، وحيث تطالع عينه لآخر مرة صورة الروابي الخضر ، وتصافح سمعه — لآخر مرة — صدى خرير المياه وهو يسري إلى الموت فيقول في قصيدة « العودة » :

أموت قرير العين فيك منعماً ... يخدرني نفح من المرج عاطر
ويلحفني فيك البنفسج ، ولتكن ... مسارح عيني الربا والمخـاضر
وآخر ما أصغي إليه من الصدى ... خريرك يفنى وهو للموت سائر

غير ان هذه « الميتة الشاعرية » لا تتاح للشاعر ، لأن المرئيات والأصوات — تحت الاحساس القاصم بالفاقة — تبدو له دميمة شوهاء ، تملؤه رعباً ، فيحزنه الا يجد ذلك العزاء الشاعري الخلاب ، فيصرخ مجهشاً بالبكاء .

ولكن بلا جدوى أتيت فلم أجد ... سوى قفرة أشباحهـا تتكاثر
وقد نسجت أيدي الشتاء سياجها ... عليهـا ، وأسوار الظلام تحاصر
وقد خرج الخفاش يهمس في الدجى ... ودبت على الشط الهوام النوافر
وطارت من الجميز تصرخ بومة ... على صوت هر في الدجى يتشاجر